خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٤ جمادى الآخرة ١٤٣٨ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار، ثم يا معاشر الفضلاء،

إن نبيّكم ﷺ قال: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كلّ ضعيف مُتضعَّف، ألا أخبركم بأهل النار؟ كلّ عُتُلّ جوّاظ مستكبر».

الله أكبر يا عباد الله! ما أكرمه من سائل، وما أعظمه من سؤال!

«ألا أخبركم بأهل الجنة»: الجنة التي هي رحمة الله ﷻ، يرحم بها من يشاء من عباده، التي أعدّ فيها لعباده الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

من سُكّانها؟ من أهلها؟ يُخبرنا نبيّنا ﷺ: «كل ضعيف متضعَّف».

فالجنة سُكّانها هم الضعفاء والمساكين، فأغلب أهل الجنة على هذه الصفة.

«كل ضعيف»: كل خاضع لله، مُذِلّ نفسه لله ﷻ، مُخلِص لله ﷻ، متعبّد لله ﷻ، متواضع لخلق الله، رقيق القلب، وقّاف عند المواعظ، سمّاع للنصائح، معتبر بالوقائع والأحداث، فقلبه رقيق، إذا سمع قول الله رقّ قلبه وسالت دموعه، ويدخل في ذلك -يا عباد الله- كلّ ضعيف ليس في يده ما يطمع

فيه الناس، مع عبادته لربّه، كالفقير الصابر العابد، والغريب الصّالح، وسائر الضّعفة، إذا كانوا عُبّادًا لله ﷻ.

«كلّ ضعيف متضعَّف»: أي أن الناس يستضعفونه لتواضعه أمام الناس، ولأنه ليس في يديه ما يطمع فيه الناس، فليس في يديه مال، وليس له عند الناس جاه، وليس من الذين يداهنون الناس، بل هو قوّال بالحق، ناصح بالخير دائمًا، فلا يميل إليه الناس، وإنّما يميلون عنه.

«كل ضعيف متضعَّف»: يستضعفه الناس، ولا يميلون إليه، وفي رواية: «متضعِّف»: أي أنه مُخبِت لله، مُتَذَلِّل لله، متواضع لخلق الله، فاستحقّ هذا أن يكون من أهل الجنّة، فهؤلاء الضعفاء -يا عباد الله- هم أغلب من في الجنة.

ولذلك احتجّت النار والجنة عند ربنا، فقالت النار: يدخلني الجبّارون والمتكبّرون، وقالت الجنة: يدخلني الضعفاء والمساكين، أي أنها كأنها قالت: ما لي لا يدخلني إلا الضعفاء والمساكين؟ فقال الله للجنة: أنتِ رحمتي أرحم بكِ من أشاء من عبادي، وقال للنار: أنتِ عذابي أُعَذِّبُ بكِ من أشاء، ولكلّ واحدة منكما مِلْؤُها.

واعلموا -عباد الله- أنّ الضعف اللاحق بالإنسان على ثلاثة أقسام:

أمّا القسم الأول: فهو الذي ذكرناه وبيّنّاه ووصفناه، وهذا الضعف -يا عباد الله- محمود، محمود صاحبه، وهذا الضعف سبب للخيرات والبركات للأمة، لصاحبه ولسائر الأمة، يقول النبي ﷺ: «أبغوني ضعفاءكم، فإنما تُنصَرون وتُرزَقون بضعفائكم»، اُطلُبوا لي ضعفاءكم، فجالسوهم، وأكرموهم، وأحسنوا إليهم، فإنما تُرزَقُون الخيرات -من المطر وسائر الأرزاق- بضعفائكم، وإنّما تُنصر الأمة بضعفائها، أي أن الله ﷻ ينصر الأمة بدعاء الضعفاء، وبحسن صلاة الضعفاء، وبإخلاص الضعفاء، كما قال النبي ﷺ: «إنما تُنصَر هذه الأمة بضعيفها، بدعائهم، وصلاتهم، وإخلاصهم».

كما أن الأمة إذا اعتنت بالضعفاء، وأكرمت الضعفاء، وأحسنت إلى الضعفاء، موعودة من ربّها بالرزق والنصر، فهذا القسم الأول.

وأما القسم الثاني من الضعف يا عباد الله: فهو ضعف في خلقة الإنسان، وهذا الضعف لا يتعلق به مدح ولا ذمّ، لأنه ليس من فعل الإنسان، كما قال ربّنا: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨].

لكن ربنا الرحيم رحم ضعفنا، ورأف بنا، فلم يُكَلِّفنا إلا ما نطيق، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ [البقرة:٢٨٦]، يقول ربّنا: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء:٢٨].

وعندما أوجب علينا ربنا الواجبات لم يُلزِمنا منها إلا بما نستطيع، كما قال ربنا ﷻ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، وكما قال نبينا ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم».

وخفف الله ﷻ عن بعض الناس لمزيد ضعفهم، كالمرأة، فلم يوجب عليها الصلاة حال حيضها، لا أداءً ولا قضاءً، ولم يوجب أداء الصيام على المرأة حال حيضها، وإنّما ألزمها بالقضاء إذا طهرت، ولم يوجب على المرأة صلاة الجماعة، وخفّف الله ﷻ عن الصبي فرفع عنه قلم المؤاخذة، وأثبت له قلم الثواب، فأثبت له ما له، ولم يُثبِت عليه ما عليه، فالله ﷻ رحم الضعفاء.

وإذا عرض للإنسان عارض أضعفه فإن الله يخفف عنه بما يناسب ذلك الضعف، كالمسافر والمريض، فإن الله خفف عنهما بما يناسب ضعفهما، فالحمد لله الذي خلقنا، والحمد لله الذي أكرمنا، والحمد لله الذي رحمنا.

وأما القسم الثالث من الضعف يا عباد الله: فهو غير القسمين المتقدمين، وهو ضعف مُكتسَب، وهذا يُشرَع للمسلم أن يسعى في دفعه، وأن يسعى في رفعه، فسعي المؤمن إلى القوة الصالحة من الأعمال الصالحة المباركة، يقول نبينا ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير».

المؤمن -يا عباد الله- فيه خير ما وُجد فيه الإيمان، لكنّ المؤمنين يتفاضلون في الخيرية، ولذلك يتفاضلون في الدرجات في الجنة، فالمؤمنون بعضهم خير من بعض.

وممّا يتفاضل به المؤمنون: القوة، فالمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وأحبّ إلى الله ﷻ من المؤمن الضعيف، وفي كل خير.

وهذه القوة المطلوبة، وهذه القوة المحمودة -يا عباد الله- عامَّةٌ في كل شيء، فيُشرَع للمؤمن أن يكون قويًّا في عقيدته، أن يكون قويًّا في عبادته، أن يكون قويًّا في إرادته، أن يكون قويًّا في أخلاقه، أن يكون قويًّا في جسده.

فأنت -يا عبد الله- مشروع لك أن تكون قويًّا في عقيدتك، على يقين وثبات في توحيد رب العالمين، تُوَحِّد الله ﷻ بأفعالك، وتُوَحِّد الله ﷻ في أفعاله، وتُوَحِّد الله في أسمائه وصفاته، وأنت على يقين من ذلك، لا تُزَحزِحُك كلمات المتكلّمين، ولا شبهات المنحرفين، وإنما أنت على دينك في يقين، أنت موحّد لله، قويّ في توحيدك، لا يغرّك كثرة الهالكين، ولا يُحزِنك قلّة السالكين، وإنما أنت في توحيدك وعقيدتك على يقين.

وأنت -يا عبد الله- يُشرَع لك أن تكون قويًّا في عبادتك، قويًّا في عبادتك بالإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ، والنشاط في عبادته، والمسابقة إلى ما يُرضي الله، والمسارعة إلى ما يرضي الله، ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة:٦٣].

فمِن صفات المؤمن أنه نشيط عند الطاعة، بطيء عند المعصية، قويّ في عبادته لربّه، لا ينظر إلى الناس، ولا إلى ما في أيدي الناس، وإنّما ينظر إلى ما عند الله ﷻ، لا ينظر إلى الجاه عند الناس، وإنما هَمُّه أن يُحَصِّل الجاه عند الله، ولذلك قال النبي ﷺ: «كلّ ضعيف متضعَّف لو أقسم على الله لأبرّه»، يصبح له جاه عند الله، حتى أنه لو أقسم على الله ثقةً بالله وحُسنَ ظنٍّ بالله لَصدّقه الله ﷻ، ولأوقع ما أقسم عليه إكرامًا له من ربه ﷻ.

وأنت -يا عبد الله- مشروع لك أن تكون قويًّا في إرادتك، لتصبر عن معاصي الله، وما أحوجنا في هذا الزمان إلى قوة الإرادة! إنّنا في زمان -يا عباد الله- انفجرت على الناس فيه الشهوات، وعظمت أسباب المعاصي، وأصبح القابض على دينه، المتمسك بقول الله، بقول رسول الله ﷺ، المبتعد عمّا حرّم الله، كالقابض على الجمر، يلومه كثير من الناس لبعده عن كثير من المحرّمات، ولَرُبَّما وصفوه بالمتشدّد، فإذا رأوه يجتنب الغناء قالوا: متشدّد، وإذا رأوه يجتنب الغيبة قالوا: متشدّد، وإذا رأوه يجتنب الكذب قالوا: متشدّد، وإذا رأوه يجتنب المال الحرام قالوا: متشدّد، ولَرُبَّما أدللوا عليه بقول بعض الدعاة، فما أحوجنا إلى قوة الإرادة لنصبر عن معصية الله ﷻ!

والمشروع لك -يا عبد الله- أن تكون قويًّا في أخلاقك، وما أحوجنا إلى هذا! فلا تطيب الحياة ولا يحصل القرب من النبي ﷺ إلا بحسن الخلق، وإنّنا في زمان قلّ فيه حسن الخلق، فكم من أسر تباعدت بسبب سوء الخلق، وكم من أسر تمزّقت بسبب سوء الخلق، وكم من وسائل قُطِّعت بسبب سوء الخلق.

ونحن بحاجة -يا عباد الله- إلى قوّتنا بالخُلُق، وإن القويّ حقًا من كان قويًّا في خُلُقِه، يقول النبي ﷺ: «ليس الشديد بالصُّرَعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»، فليس القويّ حقًّا من يصرع الناس ويغلب الناس بجسده، ولكنّ القويّ حقًّا من يسبق الناس بأخلاقه، ويملك نفسه عند الغضب.

ومشروع لك -يا عبد الله- أن تكون قويًّا في جسدك، فإنّ نبيّنا ﷺ كان قويّ الجسد، كان في مكة رجل يقال له رُكانة، كان قويًّا يصرع الناس، فقال لنبيّنا ﷺ: إنْ صارعتني فصرعتني آمنت بك، فصارعه النبي ﷺ فصرعه ثلاث مرات، إلا أنّ رُكانة لم يُسلِم في ذلك الوقت، وإنما أسلم -رضي الله عنه وأرضاه- في عام الفتح.

وإن المشروع لك -يا عبد الله- أن تحرص على قوة جسدك، ومن أعظم ذلك أن تسعى إلى الصحة، فإنّ الصحة من أعظم نعم الله ﷻ عليك، «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس».

والسعي في القوة بالصحة يكون بدعاء الله ﷻ، يقول النبي ﷺ: «سَلُوا الله العفو والعافية، فإنه لم يُعطَ أحدٌ شيئًا بعد اليقين أعظم من العافية»، أو كما قال ﷺ.

كما يكون بالتداوي بالمباحات، كما قال النبي ﷺ: «تداووا عباد الله، ولا تتداووا بمحرّم».

كما يكون ببذل الأسباب التي تُقوَّى بها الصحة، كالمشي ونحوه.

وإنّ ممّا يدخل في القوة المحمودة: قوّة جيش الدولة، فإنّ هذا -يا عباد الله- من الأمور المحمودة، يقول الله ﷻ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال:٦٠].

والقوة هنا يا عباد الله: هي المهارة في استعمال السلاح، ولذا قال النبي ﷺ: «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي».

والمقصود برباط الخيل يا عباد الله: أن تتّخذ الأمة من الأسلحة أقواها، فإنّ الخيل في زمن النبي ﷺ أقوى ما يقاتل عليه المقاتلون، فقوّة الجيش في البلاد ممّا يَفرَحُ بها المؤمن، ويعتزّ بها، وإنّ قوة الجيش – يا عباد الله– تحمي الحدود بفضل الله، ويُرهَب بها العدوّ، وها أنتم –يا عباد الله– تسمعون وتشاهدون ما يُسَطِّرُهُ أبطالنا في جيشنا المِغْوَار، مِن حفظ ثغورنا، مِن حفظ حدودنا، ومِن نُصرَة إخواننا الملهوفين في يمننا السعيد، أعاد الله سعادته، أعاد الله سعادته، فإنها والله قوّة ينشرح بها صدر المؤمن، ويفرح بها المؤمن المُحِبّ لدينه.

فالحمد لله، فاحمدوا الله –عباد الله– أن جعلكم من أهل هذا الدين الصالح المصلح الشامل الكامل الذي يأتي بالخير لكل الناس في كل زمان ومكان، فتمسّكوا –عباد الله– بدينكم، واعتزّوا به، واحرصوا على أن تكونوا من الأقوياء.

أقول ما تسعمون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا عباد الله:

قال نبينا ﷺ في هذا الحديث الذي معنا: «ألا أخبركم بأهل النار؟»

«ألا أخبركم بأهل النار»: النار التي هي عذاب الله يُعذّب بها من يشاء، النار التي أقلّ الناس فيها عذابًا رجل في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه.

«ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُستَكبِر».

كل عُتُلٍّ: فظّ غليظ مُعرِض عن المواعظ، لا يسمع النصائح، ولا يَقبَل الحق، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم.

وكلّ جوّاظ: شديد الخصومة في الباطل، الكثير اللحم المختال في مشيته، فهو عظيم الوزن، لكنّه مُجوَّف، لأنّه متكبّر، مختال في مشيته، وهو الذي لا يصبر، إن أصابته سرّاء تجبّر وتكبّر وبطر، وإن أصباته ضرّاء تسخّط وقال: لماذا أُصابُ بهذا؟ فهذا هو الجوّاظ.

المستكبر: المستكبر -يا عباد الله- هو المتعالي عن الحق، المتعالي على الخلق، الذي لا يقبل الحق، ويردّ الحق، ويزعم أنه أكبر من أن يُنصَح، وأعظم من أن يُعلَّم.

والذي يتكبّر على عباد الله ولا يتواضع لعباد الله، أولئك -يا عباد الله- هم أكثر أهل النار، فليست العبرة -يا عبد الله- بمكانة عند الناس، ولا بقوة الجسد، وإنّما العبرة بالجاه عند الله، وبقوّة العبادة، فإن اجتمع مع قوّةِ العبادة قوّةُ الجسد فَنِعِمَّا هي.

ولذا -يا عباد الله- يُؤتَى يوم القيامة بالرجل السمين الذي لا يُطيع الله ﷻ، فلا يزن عند الله جناح بعوضة، ويُؤتَى بالرجل النحيل -من عباد الله الصالحين- فيكون عند الله أثقل من جبل أحد.

ألا فاتقوا الله عباد الله! وتأمّلوا في هذا الحديث الذي نصحكم به رسول الله ﷺ أعظم نصيحة، فمن وجد منّا أنّه مُتَّصِف بصفات أهل الجنة فليحمد الله ﷻ، ولْيَسْعَ إلى أن يزيد من ذلك، فإنّنا في سباق، وإنّ الجنّة تكون في يوم الإكرام، وإنّ الجائزة تكون في يوم الإكرام عند الدرجات في الجنة، ومن وجد منّا أنّه مُتَّصِف بشيء من صفات أهل النار فليتّق الله ربّه، وليرجع، وليتخلّص من هذه الصفات، فإنّ التخلص منها يسير.

وفّقني الله وإيّاكم لما يحبّ ويرضى، وجعلنا من أهل الصفات الحسنة التي يفوز بها أصحابها بجنة رب العالمين.

ثم اعلموا -عباد الله- أن الله ﷻ أمركم بالإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال ﷺ: «إن من أفضل أيّامكم يوم الجمعة، فيه خُلِق آدم، وفيه قُبِض، وفيه الصعقة، وفيه النفخة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإنّ صلاتكم معروضة عليّ»، قالوا: وكيف تُعرَض صلاتنا عليك يا رسول الله وقد أرمت؟ أي وقد بليت، فقال ﷺ: «إنّ الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء».

فنبيّنا ﷺ في قبره لم يَنقُص منه شيء، فإنّ الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، هو ﷺ ميّت، وهو حيّ حياة برزخية، ليست كالحياة في الدنيا، والله ﷻ أعلم بعباده.

فأكثروا -عباد الله- من الصلاة عليه ﷺ، فإنّ صلاتكم معروضة عليه.

الله أكبر يا عبد الله! كيف تزهد في كثرة الصلاة على النبي ﷺ وصلاتك تُعرَض على نبيّك ﷺ؟

فاللهمّ صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

اللهمّ أصلحنا وأصلح لنا، اللهمّ أصلحنا وأصلح لنا، اللهمّ أصلحنا وأصلح لنا، اللهمّ أصلح لنا شأننا كلّه، اللهمّ أصلح لنا شأننا كلّه، اللهمّ أصلح لنا شأننا كلّه.

اللهمّ قوّنا في طاعتك، اللهمّ قوّنا في طاعتك، اللهمّ قوّنا في طاعتك، اللهمّ اجعلنا من عبادك الأقوياء، اللهمّ اجعلنا من عبادك الأقوياء، اللهمّ اجعلنا من عبادك الأقوياء.

اللهمّ اجعل الدنيا زيادة لنا في الخير، اللهمّ اجعل الدنيا زيادة لنا في الخير، اللهمّ أطل أعمارنا في طاعة، اللهمّ أطل أعمارنا في طاعة، اللهمّ أطل أعمارنا في طاعة.

اللهمّ أنزل البركة علينا، اللهمّ أنزل البركة علينا، اللهمّ أنزل البركة علينا.

اللهمّ وفّق وليّ أمرنا لما تحبّ وترضى، اللهمّ احفظه في حِلِّه وتِرْحَالِه، اللهمّ احفظه في سفره، واجعل سفره موفَّقًا، وأعده إلى بلادنا سالمًا غانمًا يا رب العالمين، اللهمّ اجعله واجعل قراراته رحمةً على كل من سكن البلاد، اللهمّ اجعله واجعل قراراته رحمةً على كل من سكن البلاد، اللهمّ أيّده وسدّده، اللهمّ أيّده وسدّده، اللهمّ أيّده وسدّده، اللهمّ يا ربّنا زده محبّةً لنا، وزدنا محبّةً له يا رب العالمين، اللهمّ وفّق سائر ولاة أمور المسلمين إلى تحكيم شرعك واتّباع ما تحبّ وترضى يا رب العالمين.

ربّنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلّى الله على نبينا وسلّم.